

التفسير الديني للحوادث والكوارث الطبيعية عند بعض المؤرخين المسلمين

أ.م.د. فوزي خيري كاظم

كلية الإمام الكاظم عليه السلام للعلوم الإسلامية / أقسام واسط

The religious interpretation of natural accidents and disasters according to some Muslim historians

Fawzi Khairy Kazem

Imam Al-Kadhim College of Islamic

Abstract: The research discusses a very important topic that often formed a central axis in the historical writings of Muslim historians, namely the religious interpretation of events in general, especially those related to natural events such as winds, rain, disease outbreaks, lightning strikes, and other natural incidents. Historians often interpret the reasons behind these events with a religious interpretation that carries within it a hidden concept related to the nature of those events. Understanding - Generally - They see it as a divine punishment for those who experience these natural disasters as a result of their deviation from the righteous path, or as a group of God's soldiers sent against the enemies of the religion, or as a mercy from Him to His servants, like the abundant rainfall after days of drought. And despite our acknowledgment - and the acknowledgment of all Muslims - that everything is the creation of Allah, and He has the power over everything. However, we see that the majority of these natural events occur due to natural causes that Allah has prepared to complete the cycle of the universe and human beings on this earth, despite our agreement with historians - sometimes - that they are sometimes a mercy from Allah to His servants.

In this research, we decided to shed light on these events and follow the approach of some Muslim historians who mentioned these events and linked their causes to the hidden reasons associated with religion.



Article history

Received: 7/6/2026

Accepted: 26 /7/2026

Published : 30 /9/2026

تواريخ البحث

تاريخ الاستلام: 7/6/2026

تاريخ القبول : 26/7/2026

تاريخ النشر : 30/9/2026

الكلمات المفتاحية العربية : التفسير الديني،
الكوارث الطبيعية، المؤرخين، الحوادث،
المنظر الديني.

Keywords : Religious
interpretation, natural
disasters, historians, accidents,
.religious perspective

© 2023 THIS IS AN OPEN ACCESS
ARTICLE UNDER THE CC BY
LICENSE



<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>

Corresponding author:
Fawzi Khairy Kazem
البريد الالكتروني :

DOI : [10.61710/v10/i3/s7](https://doi.org/10.61710/v10/i3/s7)

المستخلص :

يتحدث البحث عن موضوع مهم كثيراً ما شكّل محوراً أساسياً في التدوين التاريخي لدى المؤرخين المسلمين ألا وهو التفسير الديني للأحداث عموماً، لاسيما ما يتعلق بالأحداث الطبيعية كالرياح والأمطار وتقشي الأمراض ونزول الصواعق وغيرها من الحوادث الطبيعية، التي كثيراً ما المؤرخون يفسرون أسباب حدوثها تفسيراً دينياً يحمل في طياته مفهوماً غيبياً يتعلق بطبيعة تلك الأحداث، فهم - في الغالب - يرون مسألة حدوثها عقاباً إلهياً لمن نزلت به تلك الحوادث الطبيعية نتيجة ابتعاده عن الطريق القويم، أو أنها جند من جنود الله يرسلها على أعداء الدين، أو أنه يكون بمثابة رحمة منه تعالى لعباده كنزول الأمطار بغزارة بعد أيام جفاف وقحط. وعلى الرغم من إقرارنا - وإقرار جميع المسلمين - بأن كل شيء هو من صنع الله سبحانه، وله القدرة على كل شيء، إلا أننا نرى بأن غالبية تلك الأحداث الطبيعية تحصل بأسباب طبيعية هيأها الله سبحانه لتكمل دورة الكون والإنسان على هذه الأرض، رغم اتفاقنا مع المؤرخين - في بعض الأحيان - على كونها في بعض الأحيان رحمة من الله لعباده. وقد استخدمنا المنهج الوصفي التحليلي منهجاً لهذا البحث.

وفي هذا البحث ارتأينا أن نسلط الضوء على هذه الأحداث ونتتبع منهج بعض المؤرخين المسلمين الذين ذكروا هذه الأحداث وقرنوا أسباب حدوثها بالأسباب الغيبية المرتبطة بالدين.

المقدمة

تأثر الإنسان منذ القدم بالظواهر الطبيعية على مختلف أشكالها، فشكل ظهورها لديه هاجساً قوياً من الخوف والترقب لما ستخلفه من دمار قد يؤثر بطريقة وأخرى عليه وعلى معيشتة وحتى على حياته، فكان دائم التوجس منها والترقب لها. حتى أن الآثار التي خلفها الإنسان على مدار العصور المتلاحقة التي عاشها أكدت على أنه - وبدافع الخوف منها - قام بعبادة بعض هذه الظواهر في مختلف الحضارات التي عاش فيها، فعبد الرياح وعبد البرق والرعد والمطر وغير ذلك من الظواهر الطبيعية الأخرى، خوفاً منها وتقرباً إليها - بحسب مفهومه - لاتقاء شرّها والخلص منها.

وظلت هذه الفكرة حبيسة في فكره حتى مع التطور الحاصل في نمط وأسلوب الحياة التي عاشها، فضلاً عن الفكر الديني الذي تطوّر هو الآخر بنزول الرسالات السماوية وتتابع الرسل والأنبياء نتيجة تقادم الحياة والحضارة، فمع رسوخ فكرة الدين الصحيح المنزل من الله سبحانه وتعالى، ومحاولة تصحيح النمط العقائدي الذي كان يعيشه ذلك الإنسان نتيجة ابتعاده عن الدين القويم وهدف وجوده على هذه الأرض،

ظل الإنسان يمتلك تلك الهواجس والخوف من الظواهر الطبيعية التي كثيراً ما تخلف الدمار وتعبث بحياته وبمقدراته.

وحين دَوّن المؤرخون التاريخ البشري - منذ منتصف القرن الثاني الهجري - أفردوا في كتبهم مجالاً للحديث عن تلك الظواهر الطبيعية، وما كانت تحدثه من دمار كل حسب سنة وقوعه، ونقلوا تفاصيل تلك الأحداث بصورة تراوحت بين المقتضبة والمفصلة بحسب ما كانت تحدثه من آثار مدمرة وأخرى بسيطة، وجعلوها مرادفة للتاريخ البشري وترابطه الدقيق معها، وهذا الجانب تحديداً لهم كل الحق فيه، فإن الطبيعة وتأثيرها متلازم مع تاريخ الجنس البشري بما تشكله تلك الأحداث من مسارات تؤثر بصورة أو أخرى على الجنس البشري سواءً بالحياة والموت أو بحجم التغيّر الحياتي الذي تحدثه فيهم.

لكن المؤرخين في بعض الأحيان - لاسيما المسلمين منهم - أرجعوا كثيراً من تلك الظواهر الطبيعية إلى البعد الغيبي، وجعلوا منشأ تلك الظواهر وما تسببه من دمار منشأً غيبياً مرتبطاً بالدين والعقيدة، وأن الله سبحانه وتعالى إنما جاء بذلك الحدث الطبيعي لعقوبة لمجموعة من الناس، أو لنصرة بعضهم ضد الأعداء. فكانوا كثيراً ما يتحدثون بالجانب الغيبي وكأنه مرتبط ارتباطاً وثيقاً بهذه الحوادث الطبيعية.

أهمية البحث

لأهمية هذا الموضوع ارتأينا أن يكون عنوان دراستنا هذه هو "البعد الغيبي في تفسير الأحداث الطبيعية عند المؤرخين المسلمين"، وقد اخترنا مجموعة من المصادر التاريخية لمجموعة من المؤرخين الذين كتبوا في التاريخ العام كون هذه المصادر قد دَوّنت التاريخ منذ البداية وحتى سنوات قريبة من وفاتهم، وكذلك دَوّنوا بالتزامن معها آثار الأحداث الطبيعية التي حصلت في التاريخ البشري وذكرنا معلومات مفصلة في بعضها عن آثارها.

منهجية البحث

كان منهجنا في هذه الدراسة التركيز على الأحداث الطبيعية، وترك التعرض للمصادر التاريخية أو مؤلفيها، كون الدراسة مختصة بالنظر بالتفسير الغيبي عند المؤرخين للظواهر الطبيعية وما تخلفه من آثار ودمار. وقد كان المنهج الوصفي التحليلي هو منهجنا الذي اتبعناه للوقوف على متطلبات تلك الدراسة.

وقد قسمنا تلك الظواهر الطبيعية إلى عنوانات عدة، وأفردنا لكل حادثة عنواناً فرعياً للحديث عنه بحسب ما ذكره المؤرخون عنها، وقد اعتبرنا تفشي الأمراض والأوبئة جزءاً من الظواهر الطبيعية كالطاعون والجذري وغيرها، لأنه مما تفرزه الطبيعة من أحداث تكون نشأتها وتفشيها طبيعياً وغالباً ما كانت تحدث بعد الكوارث الطبيعية الحاصلة ونتيجة لها، فضلاً عن أن تلك الكوارث قد تفرز ارتفاعاً جنونياً في أسعار الغذاء، وهو أمر طبيعي بسبب الدمار الذي تخلفه.

الدراسات السابقة

هناك العديد من الدراسات التي كُتبت عن موضوع الكوارث الطبيعية وأسبابها، ولكننا لم نجد من كتب في موضوع بحثنا هذا بعنوانه المباشر، ومن الدراسات السابقة: (أثر الكوارث الطبيعية على الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر المملوكي) للدكتور فيصل عبدالله بني حمد، الصادر من السعودية عام 2008، وهذه الدراسة ناقشت أثر الكوارث على الحياة الاقتصادية للناس في بلاد الشام ومدى تأثيرها عليهم. كذلك رسالة ماجستير غير منشورة صادرة من جامعة النجاح في فلسطين بعنوان: (أدب الكوارث الطبيعية في العصر المملوكي الأول دراسة موضوعية فنية) للباحثة إسراء عبد الجبار ذياب، وهي دراسة أدبية. وكذلك رسالة ماجستير غير منشورة صادرة من الجامعة الإسلامية في غزة والمعنونة بـ(الكوارث الطبيعية في مصر وبلاد الشام) إعداد الباحث محمد حمزة محمد صلاح. وأيضاً: (الظواهر الطبيعية والكوارث في كتاب السلوك للمقريزي) للدكتورة فاطمة زبار عنيان منشورة في مجلة ديالى العدد 52 سنة 2011. وكذلك دراسة (الكوارث الطبيعية والوبائية والظواهر الفلكية في العراق من خلال كتاب المنتظم لابن الجوزي) للدكتور خضير نعمة هادي المنشورة في مجلة أسباط سنة 2012.

وعلى الرغم من تعدد الدراسات في موضوع الكوارث الطبيعية إلا أننا لم نجد دراسة بنفس اتجاه هذه الدراسة وهي دراسة التفسير الديني عند المؤرخين لظاهرة الكوارث الطبيعية.

المفهوم اللغوي والاصطلاحي للكوارث الطبيعية

الكارثة في اللغة: "من كَرِثَ الغَمَّ يَكْرِثُهُ، وَأَكْرَثَهُ: أَيِ اشْتَدَّ عَلَيْهِ وَبَلَغَ مِنْهُ الْمَشَقَّةُ، وَمِنْهُ حَدِيثُ عَلِيٍّ: «فِي سَكْرَةٍ مُلْهِيَّةٍ وَغَمْرَةٍ كَارِثَةٍ» أَيِ شَدِيدَةٍ شَائِقَةٍ". (الجزري، 1997، صفحة 161/4).

أما في الاصطلاح، فقد عرِّفت الكارثة - بحسب (المنظمة الدولية للحماية المدنية) - بأنها: "حادثة كبيرة تنجم عن خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات وقد تكون طبيعية مردها فعل الطبيعة كالسيول والزلازل والعواصف وقد تكون كارثة صناعية فنية مردها فعل الإنسان سواء كان إرادياً - أي متعمدة - أم لا إرادية نتيجة الإهمال، وتتطلب مواجهتها معونة الأجهزة الحكومية والاهلية". (محمد صالح، 2009، ص2).

أما تعريفها في هيئة الأمم المتحدة فهي: "حالة مفاجئة يتأثر من جرائها نمط الحياة اليومية فجأة ويصبح الناس بدون مساعدة ويعانون من ويلاتهم ويصيرون في حاجة إلى ملابس وحماية وملجأ وعناية طبية واحتياجات الحياة الضرورية". (البياض، 2011، صفحة 3).

أنواع الكوارث

تنقسم الكوارث إلى ثلاثة أنواع رئيسية هي: (البياض، 2011، الصفحات 3-5).

أولاً: الكوارث الطبيعية: وهي التي تتحكم فيها المشيئة الإلهية، وليس للإنسان دخل في أسباب وقوعها. (عبدالعال، 2013، صفحة 36). وتعرف بأنها عبارة عن: "صدمة سريعة أو ممتدة الأثر توقيها البيئة الطبيعية بالأنظمة والمقومات الاجتماعية والاقتصادية المستقرة". (عبدالعال، 2013، صفحة 36). وتنقسم بدورها إلى: (البياض، 2011، الصفحات 5-7).

1- كوارث مناخية: كالفيضانات والعواصف والأعاصير والسيول والمجاعة وغيرها.

2- كوارث جيولوجية: كالزلازل والبراكين وغيرها.

3- كوارث بيولوجية: كالأوبئة والأمراض المعدية والآفات الزراعية كالجراد وغيرها.

4- كوارث كونية: كسقوط الشهب والنيازك والاشعاعات الكونية.

ثانياً: كوارث من صنع البشر

وتنقسم إلى: (البياض، 2011، صفحة 37)

1- كوارث إرادية مخططة: كالحروب واستخدام أسلحة الدمار الشامل والحرائق المتعددة والنفائات النووية.

2- كوارث لا إرادية: ويكون الإهمال البشري دور فاعل فيها، كالانهيارات الأرضية وحوادث النقل وغيرها.

ثالثاً: كوارث مشتركة بين الإنسان والطبيعة: وتبدأ هذه الكوارث بفعل الإنسان، ثم يزداد تأثيرها بفعل العوامل الطبيعية، كالحرائق التي تعمل الريح على انتشارها، والزلازل التي قد تزداد الخسائر فيها نتيجة الهروب غير المدروس منها، وحوادث الطائرات، وغرق السفن وغير ذلك. (عبدالعال، 2013، صفحة 7).

الكوارث الطبيعية في المنظور الديني

وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة عن الكوارث الطبيعية وحوادثها، واصفةً حدوثها - في الغالب - بكونها عذاباً يرسله الله سبحانه وتعالى إلى بعض الأمم والأقوام عقوبةً لهم تكذيبهم للأنبياء والرسل، وكفرهم بما أنزل عليهم. فقد ورد قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: 65]، قال الرازي (ت 606هـ/1209م): "العذاب النازل عليهم من فوق مثل المطر ... كما في قصة نوح، والصاعقة ... وكذا الصيحة ... كما حصب قوم لوط، وكما رمي أصحاب الفيل، وأما العذاب الذي ظهر من تحت أرجلهم. فمثل الرجفة، ومثل خسف قارون. وقيل: هو حبس المطر والنبات ..." (الرازي، 1420هـ، صفحة 20/13). كما ذكر البغوي (ت 510هـ/1116م) تفسير ذلك بالقول: "قوله ﴿عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ يعني: الصيحة والحجارة والريح والطوفان، كما فعل بعاد

وتمود وقوم شعيب وقوم لوط وقوم نوح، ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ يعني: الرجفة والخسف كما فعل بقوم شعيب وقارون". (البغوي، 1997، صفحة 153/3).

وقوله تعالى يذكر قوم شعيب: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [العنكبوت: 37]، وكذلك قوله تعالى في قوم صالح عليه السلام: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف: 78]، وحكى عز وجل هلاك قوم عاد: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوهَا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: 6]، وعن قوم فرعون بقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 133].

قال الطبري (ت 310هـ/922م) في تفسيره للطوفان في الآية الكريمة: "فأرسل الله عليهم السماء" (الطبري م.، 2001، صفحة 379/10). كناية عن المطر.

وغير ذلك من الآيات الكريمة التي ذكرت مثل هذه الكوارث بمثابة عقوبة من الله عز وجل للكافرين والمعاندين لرسالات السماء وتبليغ الأنبياء.

أما في السنة النبوية الشريفة، فقد وردت أحاديث كثيرة منها ما ورد: "أَنَّ الْأَرْضَ زُلْزِلَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا ثُمَّ قَالَ: اسْكُنِي، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْنِ لَكَ بَعْدُ، ثُمَّ انْتَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكُمْ يَسْتَعْتِبُكُمْ فَأَعْتِبُوهُ". (ابن أبي الدنيا، 1996، صفحة 29).

وهذا النص يدل على بعض الكوارث الطبيعية قد فُسرَت - بناءً على هذا الحديث - فضلاً عن كونها مأمورة من الله عز وجل، فهي تشكّل تحذيراً للناس بالانتباه والعودة إلى جادة الصواب.

كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن قتلى بعض الكوارث الطبيعية يعدون شهداء، ولهم أجورهم كأجور الشهداء، وهو ما دلّ عليه قوله: "الشَّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ، وَالْمَبْطُونُ، وَالْغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ". (مالك، 1991، صفحة 128/1). والمطعون هو الذي أصابه الطاعون، وصاحب الهدم هو الميت تحت الهدم نتيجة لحصول زلزال أو غيره، أما الغريب فيمكن اعتباره الغريق بفعل الفيضانات وكثرة الأمطار والسيول شهيداً.

فيما دلّ حديث آخر مروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الكوارث الطبيعية ما هي إلا عقوبة في الدنيا لبعض بني البشر ممن حادوا عن الحق واقترفوا الفواحش، وعصوا في الأرض وأفسدوا فيها، وهو ما رواه أبو موسى قال: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الْآخِرَةِ، عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الْفِتْنُ وَالزَّلَازِلُ وَالْقَتْلُ". (أبوداود، د.ت، صفحة 105/4).

وفي حديث آخر نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قتل الجراد، وهو من قبيل الكوارث الطبيعية لأنها تسبب دماراً هائلاً في المزروعات والمحاصيل الغذائية التي تهتم حياة الناس، وتختلف مجاعات شديدة في بعض الأحيان، وفي ذلك قال النبي: "لَا تَقْتُلُوا الْجَرَادَ فَإِنَّهُ جُنْدُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ". (الطبراني، 1995، صفحة 111/9).

والواضح في هذا النص أن الحديث اعتبر الجراد من جنود الله سبحانه الذي قد يرسله رحمة في بعض الأحيان إن كان موجهاً نحو أراضي العدو – كما يراها بعض المؤرخين – أو أنها تكون عقوبة موجّهة نحو مقترفي المعاصي والفواحش ومنكري النعمة.

الكوارث من علامات الساعة

كما وردت أحاديث أخرى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تُخبر بأن بعض الكوارث هي من علامات الساعة، وأن كثرة وقوعها هو إيدان باقتراب يوم القيامة، وهو ربما يندرج تحت بند التحذير من الغفلة للناس. ومن ذلك ما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتْنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ، وَهُوَ الْقَتْلُ، حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فِيْفِيضٍ". (البخاري، 1987، صفحة 350/1).

وعدّ حديث آخر كثرة الصواعق من علامات قيام الساعة، فقد روى أبو سعيد الخدري، "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: تَكْثُرُ الصَّوَاعِقُ عِنْدَ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ، حَتَّى يَأْتِيَ الرَّجُلُ الْقَوْمَ، فَيَقُولَ: مَنْ صُعِقَ قَبْلَكُمْ الْعَدَاةُ؟ فَيَقُولُونَ: صُعِقَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ". (ابن حنبل، 2001، صفحة 163/18).

وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم في ذات المعنى قوله: "يُوشِكُ أَنْ لَا تَجِدُوا بَيُوتًا تُكْنِكُمْ تُهْلِكُهَا الرُّوَاجِفُ، وَلَا دَوَابَّ تَبْلُغُوا عَلَيْهَا فِي أَسْفَارِكُمْ تُهْلِكُهَا الصَّوَاعِقُ". (ابن حماد، 1991، صفحة 611/2).

وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والتي تؤكد على التفسير الغيبي للكوارث الطبيعية والأوبئة، وهذا ما رسّخ اعتقاد المؤرخين الالبغين بأنها من الله سبحانه، وأنها جنوده يعاقب بها العصاة ومرتكبي المعاصي والمذنبين.

منهج المؤرخين في تدوين الأحداث والكوارث الطبيعية

اختلف المؤرخون في منهجهم في تدوين الأحداث والظواهر الطبيعية – ونحن هنا لا نتحدث عن منهج المؤرخين العام، وإنما سنقتصر على ذكر منهجهم في ذكرهم لهذه الحوادث –، فقد سلك بعضهم الأسلوب المختصر في ذكرها كأن يذكر الحادثة ويقوم بالتعليق عليها تعليقاً بسيطاً، وآخرون انتهجوا أسلوب

التطويل في ذكر أهوالها وذكر أحوال الناس أثناء حدوثها وبعده، فضلاً عن ذكرهم للخسائر المادية والمعنوية التي خلفتها، فضلاً عن الخسائر بالأرواح. (كاظم، 2024، صفحة 21).

ومن أصحاب المنهج القصير في الكتابة برز المؤرخ محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ/922م)، الذي إنماز منهجه بالقصر في سرد الأحداث الطبيعية التي حصلت، فقد اكتفى بالإشارة إليها بأسلوب مختصر تعلق بسرد الاسباب الغيبي لحدوثها دون أن يتطرق إلى تفاصيل أخرى.

وكذلك الحال بالنسبة للمؤرخ أبي الفداء الملك المؤيد (ت 732هـ/1332م) الذي كان أسلوبه مختصراً هو الآخر، ولم يفصل في غالب ما ذكره من حوادث طبيعية سوى الإشارة إلى البعد الغيبي لها.

وعكس ذلك إنماز أسلوب المؤرخين الآخرين بالتطويل في سرد الأحداث الطبيعية وما خلفته من دمار كبير، ومن هؤلاء المؤرخين يبرز ابن الجوزي (ت 597هـ/1201م) الذي اعتمد أسلوبه التطويل في شرح تلك الكوارث الواقعة بتفاصيلها، حيث ذكر مدى الخراب الذي تركته هذه الكوارث وحتى أنه يذكر عدد القتلى الذين ماتوا فيها بتفاصيل كثيرة.

كما كان المؤرخ سبط ابن الجوزي (ت 654هـ/1256م) على مثال جده ابن الجوزي في ذكر تفاصيل الكوارث الطبيعية التي نقلها في كتابه. وكذلك كان المؤرخ ابن الأثير (ت 630هـ/1233م) هو الآخر قد نقل تلك الكوارث بتفاصيل فيها شيء من التطويل في بعضها، بينما اكتفى بالأخرى البسيطة منها بذكر وقوعها فقط دون الخوض في تفاصيلها، فكان أسلوبه وسطاً بين التقصير والتطويل. فيما كان المؤرخ شمس الدين الذهبي (ت 748هـ/1347م) قد ركّز في نقله تلك الحوادث والكوارث على الكبيرة منها، التي خلّفت دماراً كبيراً في البلدان التي حلّت بها، وقد نقل تفاصيلها بشيء من التطويل وذكر تفاصيلها بصورة دقيقة.

وأبرز من ركّز في تدوينه لتلك الحوادث الطبيعية كان المؤرخ المقرئ (ت 845هـ/1441م) الذي أفرد صفحات كثيرة في تاريخه المسمى بـ(السلوك في معرفة دول الملوك) والخاص بتاريخ الدولتين الأيوبية والمملوكية، حيث ذكر تفاصيل كثيرة عن تلك الكوارث مفصلاً كل ما رافقها من دمار وموتقاً أعداد القتلى في كل منها. فكان مرجعاً جيداً في نقل تلك الأحداث.

أما المؤرخ ابن تغري بردي (ت 874هـ/1469م) فقد كان أسلوبه متوسطاً بين التطويل في بعض الحوادث، والتقصير في ذكر كثير منها، حيث اكتفى بذكر وقوعها وذكر البلد الذي وقعت فيه دون أن يفصل في ذلك.

التفسير الديني للحوادث والكوارث الطبيعية عند المؤرخين المسلمين

ذكر المؤرخون في مؤلفاتهم التاريخية كثيراً من الحوادث والكوارث الطبيعية التي وقعت في سنوات متفاوتة في عمر الدولة الإسلامية وفي أمصار مختلفة، وقد أسهب بعض المؤرخين في سرد تفاصيل كثيرة عنها، فيما اختصر بعضهم على ذكر وقوعها بذكر مكان وقوعها والسنة التي حدثت فيها دون الإسهاب في التفاصيل.

ولعل السؤال الذي لا بد من ذكره هنا هو: لماذا ذكر المؤرخون تلك الحوادث الطبيعية؟ وقد يبدو السبب في ذلك أن المؤرخين عدوها من الأحداث التاريخية كونها على تماس مباشر بحياة الإنسان، وهو يتأثر بها وبوقوعها بصورة مباشرة، قد تؤدي في بعض الأحيان إلى موت كثير منهم بسببها. لذا كان سردهم لهذه الكوارث الطبيعية طبيعياً لهذا السبب.

ومن هذه الكوارث التي ذكرها المؤرخون:

الزلازل

ذكر الطبري (ت 310هـ/922م) في أحداث سنة 15هـ/636م أثناء حصار المسلمين لمدينة حمص والتي كانت بيد الروم آنذاك ما نصّه: "أثاب الله المسلمين على صبرهم أيام حمص أن زلزل بأهل حمص، وذلك أن المسلمين ناهدوهم، فكبروا تكبيرة زلزلت معها الروم في المدينة، وتصدعت الحيطان، ففزعوا إلى رؤسائهم وذوي رأيهم، فقالوا: ألا ترون إلى عذاب الله! فأجابوهم: لا يطلب الصلح غيركم، فأشرفوا فنادوا: الصلح الصلح" (الطبري م.، 2001، صفحة 600/3). وفي هذا النص يُبين الطبري أن وقوع الزلزال في مدينة حمص كان نتيجة تدخل إلهي نصر به الله سبحانه وتعالى المسلمين المحاصرين للروم، وبذلك تمّ لهم ما يريدون من نصر.

فيما ذهب المؤرخ ابن الجوزي (ت 597هـ/1201م) إلى جعل الزلزال الذي وقع في عهد الخليفة عمر بن الخطاب سنة 20هـ تحذيراً للناس من مغبة ما يفعلون وانحرافهم عن الدين القويم، فينقل عن الخليفة عمر قوله: "زُلْزِلَتِ الْمَدِينَةُ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ مَا أَسْرَعَ مَا أُحْدِثْتُمْ، لَيْتَ عَادَتْ لَا أَسَاكُنْكُمْ فِيهَا". (ابن الجوزي، 1992، صفحة 295/4). في محاولة منه لتأكيد ما يراه الخليفة عمر، فنراه يكتفي بإيراد قوله ولا يعلق عليه، في إشارة لموافقته على ذلك.

وهذا ما أكدته بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين وقع زلزال في عهد رسول الله في المدينة سنة 5 للهجرة، (شيبه، 2015، صفحة 221/2) فقال: "رجفت المدينة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إِنَّ الله مستعتبكم فاعتبوا". (ابن الجوزي، 1992، صفحة 240/3).

كما ذكر في أحداث سنة 233هـ/846م وقوع رجفة - زلزال - في مدينة دمشق، وكانت قوية جداً هدمت منازل كثيرة، وخلفت أعداد كبيرة من القتلى، فما كان من الناس إلا أن ضجوا إلى المساجد "يكون ويتضرعون ويصلون ويستغفرون إلى وقت المغرب، ثم سكن ذلك، فرجعوا" (ابن الجوزي، 1992، صفحة 189/11).

وفي هذا النص يؤكد ابن الجوزي أن الناس كانت تعد الزلازل غضباً إلهياً سُلط عليهم، لذلك تلتجأ إلى بيووت الله للدعاء والاستغفار حتى يزول ذلك عنهم.

ونفس الأمر ذكره المؤرخ ابن الأثير (ت 630هـ/1233م)، حين نسب سكون الزلزال الذي ضرب مدينة الموصل وبعض المناطق المجاورة لها سنة 623هـ/1226م إلى أمور الغيب، وأن الله تعالى قد كشفها عنهم، حيث قال: "زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ بِالْمَوْصِلِ وَكَثِيرٍ مِنَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْعَجَمِيَّةِ، ... وَبَقِيَتِ الزَّلْزَلَةُ تَتَرَدَّدُ فِيهَا نَتِيئًا وَثَلَاثِينَ يَوْمًا، ثُمَّ كَشَفَهَا اللَّهُ عَنْهُمْ". (الجزري، 1997، صفحة 422/10).

أما المؤرخ سبط ابن الجوزي (ت 654هـ/1255م)، فقد ربط وقوع الزلزال بحدث ديني حدث سنة 41هـ/661م، حين أراد معاوية نقل منبر رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة إلى الشام فقال: "وفي هذه السنة أراد معاوية أن يقلع منبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من المدينة، وينقله إلى الشام، فلما حرك المنبر رجفت الأرض، وكسفت الشمس، وأظلمت الدنيا، وظهرت النجوم، فأعظم الناس ذلك، فقال معاوية: لم أَرِدْ نَقْلَهُ، وَإِنَّمَا خِفْتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَرِمَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَصْلَحَهُ، ثُمَّ كَسَاهُ الْقَبَاطِيَّ". (سبط ابن الجوزي، 2013، صفحة 154/7).

وما ذكره يشير بوضوح إلى ارتباط حدوث الزلزال بهذا الحدث العظيم، وأنه ما كان ليحدث لولا قيام معاوية بمحاولة نقله لمنبر رسول الله، ليبين بشاعة فعل معاوية، على الرغم من ذكر الحادثة في العديد من المصادر التي سبقتها، وقد يكون وقوع الزلزال قد تزامن مع فكرة معاوية نقله للمنبر الشريف في ذات التوقيت، ولكن تبقى فكرة المؤرخ مبنية على أن نسق ديني غيبي تأصل نتيجة إيمانه بأن فعل معاوية مخالف للدين، ويتجاوز الثوابت الإسلامية الصحية التي أقرها وأتفق عليها جميع المسلمين.

وعزز سبط ابن الجوزي هذه الفكرة بفكرة أخرى مفادها أن حدوث الزلازل في المدن الإسلامية - لاسيما مدن الشام - ما هو إلا بسبب إدمان الناس على ارتكاب المعاصي، فقد قال: "فقال بعض البلغاء: أما

بعد، فإنه لما حدث بمدن الشام حادث الزلازل، ووجد في أكثرها من عظم البلايا والبلابل ... فكان ما حدث منها عبرة للبيب العاقل، وحجة على المُصِرِّ الغافل، وتنبيةً على إخلاص التوبة من المغافل، وإزعاجاً للمتباطئ عن الطاعة والمتثاقل، وما ظلم الله عباده بإهلاك النسل والناسل، ولكنهم لما تعاملوا عن الحق، وتمادوا في الباطل، وأضاعوا الصلوات، وعكفوا على الشهوات والشواغل" (سبط ابن الجوزي، 2013، صفحة 91/22).

وهو بحسب هذا النص الذي اقتبسه من أحد البلغاء - على حد قوله - يؤكد على أن حدوث هذه الظواهر الطبيعية هو عقوبة من الله سبحانه للعباد الذين ظلوا عن طريق الحق وسلوكوا طريق الباطل، متناسياً أن ارتكاب الناس للمعاصي لا يقتصر على الشام ومدنها فقط، بل يوجد مثل هؤلاء في كل المدن والأمصار، فلماذا يعاقب الله عز وجل سكان الشام دون غيرهم من المذنبين في المدن الأخرى؟!

كما جعل المؤرخ شمس الدين الذهبي (ت 748هـ/1347م) من العامل الغيبي مبرراً لحدوث الزلازل، حيث ذكر أن الناس فزعت إلى الله بالدعاء بعد أن ضرب زلزال مصر سنة 344هـ/955م، وخلف معه دماراً كبيراً. (الذهبي، 2003، صفحة 757/7). مما يؤكد وجود العامل الغيبي في حدوثها، وأنها أمر بيد الله سبحانه .

وأكد ذلك بما ذكره في أحداث سنة 554هـ/1149م حيث قال: "وجاءت بدمشق زلازل مهولة صعبة، فسبحان من حركها وسبحان من سكنها". (الذهبي، 2003، صفحة 16/12).

وكذلك فعل المؤرخ ابن كثير (ت 774هـ/1372م) الذي أرجع حدوث الزلازل إلى القدرة الإلهية، فذكر ما نصّه: "وفيها - سنة 280هـ/893م - زلزلت أربيل ست مرات فتهدمت دورها ولم يبق منها مائة دار، ومات تحت الردم مائة ألف وخمسون ألفاً فإننا لله وإنا إليه راجعون". (ابن كثير، 1988، صفحة 79/11).

كما نقل عن قاضي المدينة المنورة شمس الدين بن عبد الوهاب بن نميلة الحسيني قوله: "والله لقد زلزلت مرة ونحن حول حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم اضطرب لها المنبر إلى أن أوجسنا منه ... وطلعت إلى الأمير كلمته وقلت له: قد أحاط بنا العذاب، أرجع إلى الله تعالى، فأعترق كل مماليكه ورد على جماعة أموالهم، فلما فعل ذلك قلت: اهبط الساعة معنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فهبط، ... وما بقي أحد لا في النخيل ولا في المدينة إلا عند النبي صلى الله عليه وسلم، ... والمدينة قد تاب جميع أهلها" (ابن كثير، 1988، صفحة 221/13).

وهذا النص يؤكد أن ابن كثير مؤمن بأن حدوث تلك الظواهر الطبيعية هو أمر بيد الله سبحانه وتعالى، يأتي بها كنوعٍ من العقاب الإلهي حين تكثر المعاصي وتزداد الذنوب ويبتعد عن الله، ليشعر الناس بأنهم غير بعيدين عن العقاب حين يجانبون الحق ويسلكوا طريق الباطل.

كما أنه وصف لنا الزلزال الذي ضرب المدينة المنورة سنة 654هـ/1255م وما خلفه الزلزال من دمار بالقول: "ثم زلزلة عظيمة رجفت منها الأرض والحيطان والسقوف والأخشاب والأبواب، ساعة بعد ساعة إلى يوم الجمعة الخامس من الشهر المذكور، ثم ظهرت نار عظيمة في الحرة قريبة من قريظة نبصرها من دورنا من داخل المدينة كأنها عندنا، وهي نار عظيمة إشعالها أكثر من ثلاث منارات، وقد سالت أودية بالنار إلى وادي شظا مسيل الماء" (ابن كثير، 1988، صفحة 220/13). مشبهاً تلك النيران بقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: 32-33]. وقد ختم حديثه عنها بالقول: "والله يجعل العاقبة إلى خير، فما أقدر أصف هذه النار" (ابن كثير، 1988، صفحة 220/13).

وذكر هذه الحادثة أيضاً المؤرخ ابن تغري بردي بتفصيلها (ابن تغري بردي، د.ت، صفحة 17/7).

وهذا النص يؤكد منهج ابن كثير في عزو تلك الزلازل وآثارها المدمرة إلى قوة غيبية تحمل في طياتها حكمة الله سبحانه، في إرسالها سواءً للانتقام أم للتحذير. يؤكد ذلك ما ذكره في أحداث سنة 660هـ حيث قال: "ووقعت رجفة عظيمة في الشام وفي بلاد الروم، ويُقال إنه حصل لبلاد النّثر خوفٌ شديدٌ أيضاً، فسبحان الفعال لما يريد وبيده الأمر". (ابن كثير، 1988، صفحة 272/13). وكذلك ما ذكره في أحداث سنة 702هـ بالقول: "وفي المحرم حصلت زلزلة عظيمة بدمشق، وفي الله شرها" (ابن كثير، 1988، صفحة 116/14).

ووافق المؤرخ المقرئ (ت 845هـ/1450م) منهج المؤرخين السابقين في حمل الظواهر الطبيعية منظوراً غيبياً، ومن ذلك ما ذكره عن زلزال وقع بمصر سنة 828هـ بقوله: "حدث عند شروق الشمس زلزلة قدر ما يقرأ الإنسان سورة الإخلاص ثم زلزلت ثانياً مثل ذلك ثم زلزلت مرة ثالثة فلولا أن الله لطف بسكونها لسقطت الدور فإن الأرض مادت وتحركت المباني وغيرها حركة مرعبة بحيث شاهدت حائطاً خرج عن مكانه ثم عاد". (المقرئ، 1997، صفحة 117/7).

ووافقهم في ذلك أيضاً المؤرخ ابن تغري بردي (ت 874هـ/1469م) الذي كان كثيراً ما يصور وقوع تلك الأحداث الطبيعية تصويراً غيبياً، ومن ذلك ما ذكره في أحداث سنة 847هـ/233م حين وقع زلزال في دمشق هلك فيه الكثير من الناس، مؤكداً إيمانه بالأمور الغيبية لهذه الأحداث بقوله: "وهرب الناس إلى

المصلي باكين متضرعين الى الله" (ابن تغري بردي، د.ت، صفحة 270/2). وكذلك ينقل في أحداث سنة 344هـ/955م وقوع زلزال في مصر هزعت فيه الناس بالدعاء إلى الله تعالى. (ابن تغري بردي، د.ت، صفحة 313/3).

الرياح

ومن الظواهر الطبيعية الأخرى التي دون عنها المؤرخون كان للرياح والعواصف نصيب كبير منها، فقد ذكر الطبري (ت 310هـ/922م) في أحداث سنة 285هـ/898م أن ريحاً قوية ضربت الكوفة "فلم تزل الى وقت صلاه المغرب، ثم استحالت سوداء، فلم يزل الناس في تضرع الى الله" (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 1967، صفحة 67/10). في إشارة واضحة إلى العامل الغيبي الذي يقف وراء تلك الرياح بحسب ما يعتقد الطبري.

كما ذكر ابن الجوزي في أحداث سنة 158هـ/775م موقفاً للخليفة العباسي المهدي (158-169هـ/775-785م) حين هاجت ريح في أحد الأيام، فقد ذكر ما نصّه: "هاجت ريح زمن المهدي، فدخل المهدي بيتاً في جوف بيت وألّزق خده بالتراب ثم قال: اللهم إنه بريء من هذه الجناية، كل هذا الخلق غيري فإن كنت المطلوب من بين خلقك فما أنا ذا بين يديك، اللهم لا تشمت بي أهل الأديان، فلم يزل مكانه حتى انجلت الريح" (ابن الجوزي، 1992، صفحة 214/8).

وهذا الموقف يعكس بوضوح الاعتقاد بوجود قوة غيبية اعتقدها الناس تقف خلف تلك الظواهر، لعلمهم يلجئون إلى الدعاء والتضرع لله سبحانه بقصد كشف كربها عنهم.

وعزّز ذلك الاعتقاد في ذهنية الناس كافة - والمؤرخين على وجه التحديد - ما نقلوه في تواريخهم عن هذه الأحداث وتصويرها على أنها تحمل في طياتها عقاباً لهم نتج عن أعمال العباد المخالفة للشريعة الإسلامية، بل وصل الأمر إلى أن يقرنوا وقوعها بقيام الساعة وحلول يوم القيامة، من هول شدتها وشدة الأحداث التي ترافق مثل هذه الظواهر، ولعل ما نقله ابن الجوزي في أحداث سنة 478هـ بقوله: "هبت ريح عظيمة بعد العشاء، واسودت الدنيا وادلهمت، وكثر الرعد والبرق، وعلا على السطوح رمل عظيم وتراب، وكانت النيران تضطرم في جوانب السماء، ووقعت صواعق بالسن والبوازيح، وكسرت بالنيل نخيل كثيرة، وغرقت سفن، وخر كثير من الناس على وجوههم، فاستمر ذلك إلى نصف الليل حتى ظنوا أنها القيامة" (ابن الجوزي، 1992، صفحة 239/16).

وتكرر ذلك في أحداث سنة 549هـ في وصف رياح ضربت مدينة بغداد، واصفاً خوف الناس بالقول: "خاف الناس أن تكون القيامة" (ابن الجوزي، 1992، صفحة 5/18). وكذلك في وصف شدة ريح في

سنة 572هـ هاجت في بغداد أيضاً، قال عنها: "حتى خيف أن تكون القيامة" (ابن الجوزي، 1992، صفحة 239/18).

وتكرار هذا الوصف عند ابن الجوزي ما هو إلا تأكيد على اعتقاده بما للرياح - لاسيما القوية منها - من قوة غيبية مرتبطة بفكرة نهاية الدنيا وقيام الساعة، وهو ما اعتقده غالبية الناس كذلك.

وما ذكره ابن الأثير في وصف تلك الظواهر يعزز من رسوخ هذا المفهوم الغيبي لديهم، فقد قال في أحداث 319هـ/931م ما نصّه: "وفيها هاجت بالموصل ريح شديدة فيها حمرة شديدة، ثم اسودت حتى لا يعرف الإنسان صاحبه، وظن الناس أن القيامة قد قامت، ثم جاء الله تعالى بمطر فكشف ذلك" (الجزري، 1997، صفحة 765/6).

والنص ظاهر الدلالة على جعل تلك الظاهرة بيد الله سبحانه أرسلها رحمة لعبادة لتبعد عنهم هول الرياح السوداء التي ضربت المدينة.

وكذلك ذكر في أحداث سنة 575هـ/1179م ما نصّه: "هبّت ريح سوداء مظلمة بالديار الجزرية والعراق وغيرها،... وبقيت الدنيا مظلمة يكاد الإنسان لا يبصر صاحبه، وكنت حينئذ بالموصل، فصلينا العصر والمغرب والعشاء الآخرة على الظن والتخمين، وأقبل الناس على التضرع والتوبة والاستغفار، وظنوا أن القيامة قد قامت، فلما مضى مقدار ربع الليل زال ذلك الظلام والعتمة التي غطت السماء" (الجزري، 1997، صفحة 444/9).

وهذه الحادثة رواها المؤرخ وكان شاهد عيان عليها، وهذا الوصف الذي وصفه لهذه الظاهرة يدل على منهجه التفسيري الغيبي الذي سار عليه في وصف مثل هذه الحوادث.

ولعلنا نجد فيما ذكره في أحداث سنة 582هـ ما يقطع بهذا الاعتقاد الراسخ عنده، فقد ذكر ما نصّه: "كان المنجمون قديماً وحديثاً قد حكموا أن هذه السنة التاسع والعشرين من جمادى الآخرة تجتمع الكواكب الخمسة في برج الميزان، ويحدث باقترانها رياح شديدة، وتراب يهلك العباد ويخرب البلاد، فلما دخلت هذه السنة لم يكن لذلك صحة، ولم يهب من الرياح شيء البتّة، حتى إن غلال الحنطة والشعير تأخر نجازها لعدم الهواء الذي يذري به الفلاحون، فأكذب الله أحداثه المنجمين وأخزاهم" (الجزري، 1997، صفحة 19/10).

ومن ملاحظة هذا النص يتضح لنا أن ابن الأثير نظر للأمر على أنه تنبؤات من المنجمين بأن حركات الكواكب فيما بينها قد تُحدث معها خللاً في طبيعة المناخ السائد في بلدٍ معين، وهذا ما متعارف عليه في علم الأنواء عند المشتغلين به، فهم يستطيعوا التنبؤ بالأحوال الجوية وتقلباتها نتيجة اصطفاك الكواكب وحركاتها، (الدينوري، د.ت، صفحة 7). ولكنه - كما يعلم الجميع - ليس بالعلم الثابت والدقيق، وإنما

يتأثر بالملاحظة والتباين في حركات الكواكب، لكن ابن الأثير ترك الخوض في ذلك - من حيث العلم بالنوء - وجعل الأمر كتنبؤ المنجمين، وشدد على أن أمر جريان الرياح على وجه الخصوص هو أمر بيد الله سبحانه، وليس علماً في متناول أحد.

وعند سبط ابن الجوزي، نرى أن المفهوم نفسه قد أخذ طريقه إلى كتاباته، فصوّر شدة الرياح التي ضربت مصر سنة 210هـ قائلاً: "وفيها هبت ريح سوداء بمصر، وطلع سحب أسود أخذ بالأنفاس، ...، وظنوا أن القيامة قد قامت، ...، ثم لطف الله، وزالت الظلمة" (سبط ابن الجوزي، 2013، صفحة 43/20).

ونفس هذا المعنى نراه عند الذهبي في وصف ريح هبت على مصر في سنة 478هـ/1085م، فيصف هولها بيوم القيامة. (الذهبي، 2003، صفحة 310/10).

وذكر المؤرخ أبو الفداء في سنة 748هـ قائلاً: "وفيها جاءت ريح عظيمة قلعت أشجاراً كثيرة، وكانت مراكب للفرنج قد لججت للوثوب على سواحل المسلمين، فغرقت بهذه الرياح، وكفى الله المؤمنين القتال" (أبو الفداء، د.ت، صفحة 151/4).

فجعل هبوب الرياح العاصف في هذا التوقيت سبباً ساقه الله تعالى لحماية المسلمين من الفرنجة، بل وزاد في ذلك أنه ضمن هذا الحدث شعراً قاله في هذه المناسبة: (أبو الفداء، د.ت، صفحة 151/4).

وفي حادثة مشابهة لهذه الحادثة نقل الذهبي في أحداث سنة 160هـ/777م، إن المسلمين ركبوا البحر قاصدين بلاد فارس لكنهم تعرضوا لرياح شديدة دمت أغلب مراكبهم، وقد اكتفى الذهبي بقوله: "فله الأمر" (الذهبي، 2003، صفحة 16/4). ويبدو أنه لم يجد تفسيراً لهبوب الرياح بالتزامن مع حملة المسلمين، لكنه حرص على أن يكون تعليقه على الحادثة يتناسب مع منهجه الغيبي في تناول الأحداث الطبيعية، فاكتفى بهذا التعليق.

ويبدو أن هذا منهجه في التعامل مع الأحداث إن كانت تحدث مع المسلمين، ولم يجد لها تفسيراً منطقياً يرتضيه لها، فإنه يجعل الأمر لله سبحانه، فقد أكد في حادثة الحجاج العراقيين الذين ضربتهم رياح سوداء كثيفة حالت دون أن يكملوا طريقهم إلى الحج كونها بقيت أياماً فضاخوا في الطريق، فاضطروا للعودة إلى العراق، فقد اكتفى بالقول: "فلا قوة إلا بالله" (الذهبي، 2003، صفحة 690/8).

وغير بعيد عن هذا المنهج، ذكر ابن كثير في أحداث سنة 319هـ/931م قائلاً: "هاجت بالموصل ريح محمرة ثم اسودت حتى كان الإنسان لا يبصر صاحبه نهاراً، وظنّ الناس أنها القيامة ثم انجلى ذلك بمطر أرسله الله عليهم. (ابن كثير، 1988، صفحة 189/11). وهنا نلاحظ قوله يفسّر نزول المطر بعد هياج الرياح بالرحمة من الله سبحانه لعباده.

ونراه في نص آخر يستشهد بآية كريمة على حدوث عاصفة قوية في مدينة البصرة سنة 486هـ/1093م أتلفت النخيل وخلّفت دماراً كبيراً على حدّ قوله، فيعلق على ذلك قائلاً: "إنا لله وإنا إليه راجعون ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى : 30]" (ابن كثير، 1988، صفحة 172/12). وفي ذلك إشارة على تسليمه المطلق بأن ما حصل كان بقضاء الله وقدره، ومحل استشهاده بالآية الكريمة يدلّ على أنه كان مقتنعاً بأن ذلك عقاب من الله عز وجل للناس كونهم قد ظلّوا عن طريق الحق.

وذكر المقرئ في أحداث سنة 825هـ/1422م أن ريحاً عاصف ضرب مصر وظلّت لأيام اقتلعت فيها الأشجار وهدّمت الدور وقتلت ناساً كثيرين، وأحدثت فزعاً كبيراً عند الناس، حتى زالت عنهم هذه المحنة. وقد علّق على هذه الحادثة بالقول: "ورأى بعض من يظنّ به الخير في منامه كان قائلاً يقول ما معناه: لولا شفاعّة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل مصر لأهلك هذه الريح الناس لكنه شفع فيهم فحصل اللطف". (المقرئ، 1997، صفحة 76/7). وذكر هذه الحادثة أيضاً المؤرخ ابن تغري بردي (ابن تغري بردي، د.ت، صفحة 252/14).

وهذا النص يدلّ دلالة واضحة على تدخل الله سبحانه وتعالى لحماية الناس من هذه العاصفة، بدليل إيمانه بما رآه ذلك الشخص بمنامه من رؤية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وشفاعته بالناس. مؤكداً منهجه - كباقي المؤرخين - بعزو تلك الظواهر الطبيعية إلى البعد الغيبي وليس إلى البعد الطبيعي للأحداث.

الجراد

ومن الكوارث الأخرى التي نقلها المؤرخون المسلمون، انتشار الجراد وهجومه على المحاصيل الزراعية واتلافها، وتعد من الكوارث الطبيعية التي تحصل وتتسبب بدمار كبير للمزروعات، مما يؤثر على حياة الناس بصورة مباشرة مخلّفاً المجاعات والغلاء، وقد بحثها ضمن موضوع الكوارث الطبيعية كونها تحدث بصورة طبيعية ولا دخل للإنسان بإيجادها.

وقد ذكر المؤرخون كثيراً من أمثال تلك الحوادث، منها ما ذكره المؤرخ ابن الجوزي في أحداث سنة 468هـ/1075م بالقول: "جاء جراد في شعبان كعدد الرمل والحصى، فأكل الغلات، فكدى أكثر الناس وجاعوا، وطحن السودادية الخرنوب مخلوطاً بدقيق الدخن، ووقع الوباء، ثم منع الله سبحانه الجراد من الفساد، وكان يمر بالقراح فلا يقع منه عليه واحدة، ورخصت لذلك الأسعار". (ابن الجوزي، 1992، صفحة 171/16).

وإشارته واضحة للسبب الغيبي الذي منع الجراد من أكل كل المزروعات، على الرغم من أنه أكل حتى قضى على أقوات الناس فحصل الغلاء نتيجة شحة تلك الأقوات، إلا أنه عاد وأكد على أن الله سبحانه هو من منع الجراد على أكل ما تبقى منها، مما يدل على إيمانه بالعامل الغيبي أكثر من العامل الطبيعي.

أما المؤرخ ابن الفداء، فقد نقل لنا في أحداث سنة 764هـ/1363م ما نصّه: "وفيه أقبل إلى حلب وبلادها من جهة الشرق جراد عظيم، فكان أذاه قليلاً بحمد الله".

وعلق على ذلك بقوله شعراً: (أبو الفداء، د.ت، صفحة 145/4).

رجل جراد صدها عن الفساد الصمد

فكم وكم للطفه في هذا الرجل يد

وفي هذا إشارة واضحة على البعد الغيبي الذي يركز عليه رأي المؤرخ، وأن الله سبحانه قد منع أذية الجراد عن مدينة حلب.

ومثله ذكر ابن كثير مجيء موجة من الجراد لبلاد الشام سنة 348هـ/959م، قائلاً: "وظهر جراد عظيم في آزار فأكل ما نبت من الخضراوات، فاشتد الأمر جداً على الخلق فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن". (ابن كثير، 1988، صفحة 266/11).

وقد جعل الأمر غيبياً ومنوطاً بمشيئة الله سبحانه وتعالى دون أن يحدد الأسباب الطبيعية لذلك. وأكد هذا المفهوم الغيبي للأذى وعدمه أنه بيد الله وحده دون تدخل الأسباب الطبيعية فيه. فقد ذكر في أحداث سنة 467هـ ما نصّه: "جاء جراد في شعبان بعدد الرمل والحصى، فأكل الغلات وآذى الناس، وجاعوا فطحن الخروب بدقيق الدخن فأكلوه، ووقع الوباء، ثم منع الله الجراد من الفساد، وكان يمر ولا يضر، فرخصت الأسعار". (ابن كثير، 1988، صفحة 137/12).

وهذا نص واضح على عمق البعد الغيبي في التعامل مع هذه الكوارث الطبيعية عند المؤرخين المسلمين.

ووافقهم في ذلك المفهوم المؤرخ المقرئ، الذي ذكر في أحداث سنة 825هـ/1422م ما نصّه: "جاء من ناحية الحجاز جراد يخرج عن الحد في الكثرة فلما وافى الطور يريد دخول أرض مصر كان هذا المطر فهلك عن آخره كفاية من الله". (المقرئ، 1997، صفحة 78/7).

وكذلك ما ذكره في أحداث سنة 830هـ بالقول: "جاء جراد سد الأفق لكثرتهم وانتشر إلى ناحية طرا وقد أضر ببعض الزروع فأرسل الله عليه ريحاً مريسية ألقته في النيل ومزقته حتى هلك عن آخره والله الحمد". (المقريزي، 1997، صفحة 147/7).

وهذان النصان واضحا في الإشارة على عمق المفهوم الغيبي لتفسير تلك الكوارث الطبيعية واتقاء شرها، فهو منوط بالله سبحانه دون غيره.

الصواعق

مثلت الصواعق مفهوماً آخر من الأحداث الطبيعية التي ذكرها المؤرخون ونسبوا إلى البعد الغيبي في تفسير وجودها وآثارها، وقد دلت النصوص الكثيرة التي ساقها هؤلاء في كتبهم التاريخية وصفاً غيبياً دقيقاً في أسبابها ونزولها. ومن ذلك ما ذكره ابن الجوزي في أحداث سنة 571هـ/1175م حيث وقعت صاعقة في بغداد على قصر الخلافة فأحرقت جزءاً منه، فما كان من الخليفة إلا أن أطلق المحبوسين وأكثر من دفع الصدقات. (ابن الجوزي، 1992، صفحة 219/18).

وذكر ابن كثير حادثة تدل على عمق التفسير الغيبي للظواهر الطبيعية، فقد ذكر إلى أن رجلاً من أهل اليمن تغلب على مناطق عدة وجمع جيشاً كبيراً بلغ اثنا عشر ألف رجل وأراد الانتقاض على اليمن، وقد أيقن ملك اليمن إسماعيل بن طغتكين بالهلكة على يد ذلك الرجل وجيشه، " فأرسل الله صاعقة فنزلت عليهم فلم يبق منهم سوى طائفة من الخيالة والرجالة، فاختلف جيشه فيما بينهم فغشيهم المعز فقتل منهم ستة آلاف، واستقر في ملكه آمناً" (ابن كثير، 1988، صفحة 33/13).

وفي هذا النص إشارة واضحة على التفسير الغيبي الذي انطوت عليه، فقد أرسل الله الصاعقة لتقوم بإنقاذ ملك اليمن من هؤلاء، فكان التوقيت لحصولها توقيتاً إلهياً، نصر من خلاله أهل اليمن على صاحب الجيش الغازي.

الكسوف والخسوف والمذنبات

ومن الظواهر الطبيعية الأخرى التي نقلها المؤرخون المسلمون وأرجعوا تفسير حدوثها وحوادثها إلى الغيب والتفسير الدين هو ظاهرتا الكسوف والخسوف والمذنبات، ومما ورد حول ذلك ما ذكره الذهبي في أحداث سنة 427هـ/1036م في وصف كسوف الشمس بالقول: "وفي جمادى الآخرة وردت ظلمة طبقت البلد، حتى كان الرجل لا يرى صاحبه، وأخذت بالأنفاس حتى لو تأخر انكشافها لهلكوا". (الذهبي، 2003، صفحة 353/9).

وكذلك ذكر في أحداث السنة نفسها وصفه لمذنب رآه الناس في النهار قائلاً: "وفي رجب ضحوة نهار انقض كوكب غلب ضوءه ضوء الشمس، وشوهد في آخره شيء مثل التتين بلون الدخان، وبقي نحو ساعة. فسبحان الله العظيم ما أكثر البلاء بالمشرق". (الذهبي، 2003، صفحة 353/9).

وفي النص نرى أن المؤرخ قد وصف مرور هذا المذنب بالأرض كنوع من البلاء الذي قد يصيب الناس، أو قد يؤثر بطريقة أو أخرى عليهم، وقد عدّه مصدرًا لبلاء قد يضرب الناس بعد مرور هذا المذنب، ويعد هذا الرأي تعزيزاً لفكرة التفسير الغيبي لدى المؤرخين.

الغلاء

يمكن اعتبار الغلاء لاسيما الناتج عن نقص الغذاء بسبب الظواهر الطبيعية كالفيضانات أو انتشار الجراد أو غير ذلك من الكوارث الطبيعية، وقد تحدث المؤرخون عن ذلك بإسهاب في مؤلفاتهم، ومن المؤرخين الذين ذكروها المؤرخ ابن الأثير الذي ذكر في أحداث سنة 447هـ/1055م، الغلاء الشديد الذي ضرب مكة في تلك السنة نتيجة انقطاع ورود الطعام إليها من مصر نتيجة عدم زيادة نهر النيل مما أثر على محصول القمح هناك، وبالتالي أثر على مكة التي تعتمد على مصر في الحبوب، وقد ذكر ما نصّه: "وفيها كان بمكة غلاء شديد، ... فأشرف الناس والحجاج على الهلاك، فأرسل الله تعالى عليهم من الجراد ما ملأ الأرض، فتعوض الناس به". (الجزري، 1997، صفحة 130/8).

والواضح من هذا النص أن المؤرخ قد اعتبر هجوم الجراد على المنطقة رحمة من الله تعالى لسكانها من الغلاء الذي أحدثه قلة وجود الطعام في مكة، لأن الناس قد أكلته وسدّت حاجتها للطعام من ذلك، على الرغم من كون الجراد حين يهاجم منطقة معينة فإنه يأكل المزروعات ويسبب تلفاً كبيراً فيها. لكن الوضع هنا مبني على تفسير المؤرخ الذي اعتبر وجود الجراد في تلك الأزمنة الغذائية التي يعانيها الناس هو رحمة لا نقمة.

كما ذكر سبط ابن الجوزي في أحداث سنة 329هـ/941م وقوع غلاء شديد في بغداد رافقها وباء شديد أيضاً حتى كثرت الموتى بسببها، وهذا كله بسبب نقص المياه وعدم هطول الأمطار في تلك المدة، ونتيجة لهذا ذكر سبط ابن الجوزي: "قرأت امرأة رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام يقول لها: قولي للناس يخرجوا فيستسقوا، وكُتب إلي المتقي بذلك، فأمر مُناديه بخروج الناس، ... فخرجوا وليس في السماء غيمٌ، ... فاستقبل القبلة ودعا وأمن الناس، فنشأت سحابة، ثم طبقت الآفاق، ... فرجع الناس يخوضون في الوحل". (ابن الجوزي، 1992، صفحة 177/17).

وقد ذكر هذا النص أيضاً المؤرخ ابن كثير وزاد عليه بأن الفرات زاد زيادة كبيرة بسبب سقوط الأمطار. (ابن كثير، 1988، صفحة 266/11).

وفي هذا النص يتبين لنا عمق التفسير الغيبي الذي سار عليه المؤرخان في وصفهما للحالة التي صار عليها الناس، وأن هذا الأمر قد حُلَّ بواسطة حلم امرأة أخبرتهم أنها رأت رسول الله في المنام فعادوا وقد أمطرت الدنيا مطراً غزيراً.

كما ذكر في أحداث سنة 334هـ/945م ما نصّه: "وكثر القمل في الغلال والثمار، فيئس الناس من غلالهم وثمارهم، فأرسل الله تعالى طيراً على جرم العصفور أصفر، فكان يلتقط القمل من الزرع والثمار حتى أفناه". (سبط ابن الجوزي، 2013، صفحة 228/17).

ومن المؤرخين الآخرين الذين ذكروا ذلك المؤرخ ابن كثير الذي ذكر وقوع غلاء عظيم في أفريقية وهلاك كثير من الناس جوعاً، فنراه عَقَّبَ على هذا الحدث بالقول: "فَسَأَلَ اللَّهُ حَسَنَ الْعَافِيَةِ وَالْخَاتِمَةَ آمِينَ" (ابن كثير، 1988، صفحة 384/11). وهذا التعليق فيه إشارة إلى أن أمر الغلاء الناتج عن القحط وشحة المواد الغذائية بيد الله سبحانه، لذا نراه يدعو ويرجو حسن العافية، في دليل واضح على التفسير الغيبي الذي اختطه المؤرخ في منهجه لنقل مثل هذه الحوادث.

كما نراه يذكر في أحداث سنة 574هـ الغلاء الذي حصل في دمشق وتسبب في وفاة خلق كثير منها، ونراه علّق على ذلك بالقول: "فإنّا لله وإنا إليه راجعون" (ابن كثير، 1988، صفحة 373/12) (ابن كثير، 1988، ج12، ص373). وهو دلالة على أنه يؤمن بالتفسير الغيبي ويرجع ذلك إلى الله سبحانه دون أن يكون للأحداث الطبيعية دخل فيها.

وأكد هذا المعنى فيما ذكره في أحداث سنة 628هـ بالقول: "وفيها كان غلاء شديد بديار مصر وبلاد الشام وحلب والجزيرة بسبب قلة المياه السماوية والأرضية، فكانت هذه السنة كما قال الله تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة : 155 - 156]". (ابن كثير، 1988، صفحة 628/13).

وليس هناك ما هو أوضح من هذا المعنى الذي يؤكد على تبني ابن كثير للتفسير الغيبي للأحداث الطبيعية. فهو كما ساق الآيات الكريمة كدليل على قوله، فإنها تؤكد في الوقت نفسه أن الغلاء ما هو إلا ابتلاء من الله سبحانه لعباده الصابرين.

كما كان المؤرخ المقرئ قد تبني النهج نفسه في نسبة الأحداث الطبيعية إلى الله سبحانه وتبني التفسير الغيبي لها دون الأخذ بالأسباب الطبيعية التي ترافقها. ولعل ما ذكره في أحداث سنة 818هـ/1415م يدل على ذلك، فقد ذكر ما نصّه: "وأهل ذو الحجة: والناس في جهد جهيد من تعذر وجود الخبز والدقيق والقمح إلا بعناء ومشقات كثيرة مع تواصل مجيء مراكب الغلال ونزول الغيث ... ولكن الله يفعل ما يريد". (المقرئ، 1997، صفحة 389/6).

وهذا النص يدل على أن المقرئ نسب ذلك الغلاء إلى الله تعالى على الرغم من بداية زوال الأزمة واستمرار تدفق السلع إلى البلاد. فهذا الأمر لا يتعلق بطمع التجار ولا بمحاولة بعضهم احتكار تلك السلع مما قد يسبب استمرار الغلاء، ولكنه نهج المؤلف في تبني التفسير الديني للأحداث بمفهوم غيبي. أما المقرئ فنذكر في حوادث سنة 753هـ/1352م حدوث غلاء في مكة بسبب شحة المطر، فأزداد سعر المواد الغذائية كالحنطة وغيرها زيادة كبيرة، فأنكشف ذلك عنهم بعد ذلك، وعلق المقرئ على ذلك بالقول: "فأغاثهم الله تعالى في أول يوم من المحرم. بمطر استمر ثلاثة أيام فأنحل السعر". (المقرئ، 1997، صفحة 155/4). وعلى الرغم من وضوح الصورة في هذا النص، إلا أن المؤرخ أسند الأمر إلى الله سبحانه وتعالى بغوثهم ونزول المطر عليهم. وهذا التفسير الديني جاء متناسقاً مع منهج المؤرخ في تفسير هذه الأحداث.

الأمطار والبرد والفيضانات

ومن الأحداث الطبيعية الأخرى التي تحدث عنها المؤرخون هي سقوط الأمطار وحدوث الفيضانات وتساقط الثلوج، ومن هؤلاء المؤرخ ابن كثير الذي نقل في حوادث سنة 315هـ/927م بالقول: "سقط ببغداد ثلج عظيم جداً حصل بسببه برد شديد، بحيث أتلّف كثير من النخيل والأشجار، وجمدت ودجلة. وعقد بعض مشايخ الحديث مجالساً للتحدث على متن دجلة من فوق الجمد، وكتب هنالك، ثم انكسر البرد بمطر وقع فأزال ذلك كله والله الحمد". (ابن كثير، 1988، صفحة 175/11).

وهذا النص يشير بوضوح إلى المنهج التفسيري الديني للمؤرخ حيث أشار إلى انكسار البرد نتيجة سقوط الأمطار التي جاءت نتيجة لقيام المحدثين برواية الحديث فوق المياه المتجمدة لنهر دجلة.

وفي حوادث سنة 569هـ/1173م ذكر حادثة أخرى تدل على نفس المعنى السابق، حيث قال: "سقط ببغداد برد كبار كالنارنج، ومنه ما وزنه سبعة أرتال¹، ثم أعقب ذلك سيل عظيم، وزيادة عظيمة في دجلة، لم يعهد مثلها أصلاً، فخرّب أشياء كثيرة من العمران والقرى والمزارع، وخرج الناس إلى الصحراء،

¹ الرطل: وحدة قياس للوزن اختلف في مقدارها على أقوال عدة، منها أنها تساوي 298 غرام، ومنها أنها 303 غرام، وقيل: 606 غرام. وقيل غير ذلك. (حلاق، 2007، ص169).

وكثير الضجيج والابتهاال إلى الله حتى فرّج الله عزو جل، وتناقصت زيادة الماء بحمد الله ومنه". (ابن كثير، 1988، صفحة 338/12).

يتضح من هذا النص ما ذهب إليه ابن كثير في الرد على سقوط الثلج بهذا الحجم الكبير، وما أعقبه من حصول فيضان مدمر، وزوال ذلك كله نسبه إلى التفسير الديني وليس للأسباب الطبيعية.

وفي أحداث سنة 701هـ ذكر ابن كثير أن ملك المغول أبو سعيد بهادر (704هـ-736هـ/1304-1335م) "أراق الخمور وأبطل الحانات، وأظهر العدل والإحسان إلى الرعايا، وذلك أنه أصابهم برد عظيم وجاءهم سيل هائل فلجأوا إلى الله عز وجل، وابتهلوا إليه فسلموا فتابوا وأنابوا وعملوا الخير عقيب ذلك". (ابن كثير، 1988، صفحة 111/14).

وفي هذا النص دلالة واضحة على التفسير الديني للظواهر الطبيعية، فقد جاء أمر الملك المغولي بعد أن نزل بهم السيل والثلوج في عملية ربط وثيق بين تلك الأحوال الطبيعية والطبيعة الدينية التي ارتبطت بالفكر الديني والعقيدة الإسلامية التي كانت تحرّم شرب الخمر، ونتيجة لتفشي ذلك بين الناس فقد اتجه أبو سعيد إلى ترك المحرمات لأنه رأى أن نزول البرد والسيول ما هي إلا عقوبة أمّت بالأمة نتيجة ارتكابهم للمعاصي.

وذكر المقرئزي في أحداث سنة 751هـ/1350م نزل بأهل مكة موسم الحج غلاء شديد بسبب قلة المطر حتى أن الحجاج أرادوا الخروج منها "فبعث الله في تلك الليلة مطراً استمر يومين وليلة حتى امتلأت الآبار والبرك وقدم عدة قوافل فانحلّ السعر". (المقرئزي، 1997، صفحة 118/4).

وتبدو الإشارة إلى التفسير الديني لسقوط المطر وانتهاء الغلاء واضحاً من كلام المؤرخ قائلاً (فبعث الله) في دلالة على إيمانه بالتفسير الغيبي.

وقد أكد ذلك في أحداث سنة 825هـ/1422م حيث قال: "وقدم الخبر إلى العراق وشدة الغلاء. وسبب ذلك أن شاه محمد بن قرا يوسف متملك بغداد خاف من قدوم شاه رخ بن تيمورلنك فمنع الناس من الزرع وطرد ضعفاء الناس فنزحوا عن العراق وقدم منهم كثير إلى بلاد الشام. وجمع أهل القوة عنده ببغداد فكان القحط والغلاء عقوبة من الله لهم مما هم عليه من القبيح" (المقرئزي، 1997، صفحة 57/7).

وهو واضح في الدلالة على تبني التفسير الغيبي للمؤرخ للحوادث الطبيعية، فقد جعل الغلاء الذي ضرب بغداد عقوبة على الحاكم نتيجة طرده لضعفاء الناس ومنعه لهم من الزراعة خوفاً من غزو تيمورلنك.

وأكد منهجه هذا فيما ذكره أحداث سنة 831هـ/1428م ذكر المقرئزي ما نصّه: "ولم يزل الغلاء يترقب في هذه السنة منذ هبط النيل سريعاً إلا أن الله تعالى أرخى الأسعار لطفاً منه بعباده ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ

لَرْؤُوفٌ رَحِيمٌ» [الحج : 65]. (المقريزي، 1997، صفحة 177/7). وهو إشارة لا تحتاج لشرح في بيان التفسير الديني عند المؤرخ.

الحرائق

ومن الأحداث الطبيعية التي تكلم عنها المؤرخون وذكروها في مؤلفاتهم الحرائق، ومن المؤرخين الذين ذكرو ذلك سبط ابن الجوزي، حيث ذكر في أحداث سنة 329هـ/941م حريقاً حصل في بغداد لم يُعهد مثله قبل ذلك، احترقت فيه الدور والأسواق ولم يبق شيء لم تمسه النار إلا جامع الخليفة حتى أن الصلاة في كل الجوامع إلا فيه لعدم احتراقه، وقد علّق على ذلك بالآية الكريمة: ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: 58] في إشارة واضحة للتفسير الديني الذي يؤمن به للأحداث الطبيعية. (سبط ابن الجوزي، 2013، صفحة 14/19).

أما ابن كثير فقد أورد كثيراً من أخبار الحرائق التي حصلت في العديد من المدن والأمصار الإسلامية، فقد ذكر حريقاً حصل في بغداد سنة 467هـ/1074م احترقت فيه كثير من الدور، كما حصل حريق في واسط في أماكن عدة منها وقد علّق على هذا الحريق بقوله: "قَانَا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ". (ابن كثير، 1988، صفحة 136/12). في تسليم مطلق لقضاء الله وقدره في هذا الأمر.

وفي أحداث سنة 646هـ/1248م حصل حريق في دمشق احترق فيه العديد من البيوت فضلاً عن الدكاكين وغيرها، وقد علّق على هذا الأمر بالقول: "وسلم الله الجامع وله الحمد" (ابن كثير، 1988، صفحة 204/13). في إشارة واضحة إلى التفسير الديني المبني على منهجه في تفسير الأحداث الطبيعية تفسيراً غيبياً.

وفي أحداث سنة 707هـ أكد على مبدأه هذا في ذكره لحريق كبير وقع في مصر فقال: "وفي ذي الحجة وقع حريق عظيم بالقرب من الظاهرية مبدأه من الفرن تجاهها الذي يقال له فرن العوتية، ثم لطف الله وكف شرها وشررها". (ابن كثير، 1988، صفحة 52/14).

الخاتمة وأبرز الاستنتاجات

في ضوء ما تقدم من عرض وتحليل، توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج نعرضها كما يأتي:

- 1- ذكر أغلب المؤرخين المسلمين تلك الكوارث الطبيعية وأفردوا لها صفحات عدة في مؤلفاتهم، لأنهم عدّوها جزءاً من التاريخ الإنساني، ومما يتأثر به الإنسان بشكل مباشر.

- 2- تفاوت المؤرخون في ذكر تفاصيل هذه الأحداث والكوارث الطبيعية، فبعضهم اكتفى بذكرها بصورة مختصرة مكتفياً بذكر السنة التي وقعت فيها مع بعض التفاصيل الصغيرة. فيما توسع بعضهم في ذكر تفاصيلها، مشيراً إلى حجم الدمار الذي سببته وعدد القتلى الذين ماتوا جرائها وغير ذلك من التفاصيل.
- 3- ذهب أغلب المؤرخين الذين ذكروا تلك الكوارث الطبيعية على تفسير كثير من هذه الكوارث تفسيراً دينياً بحتاً، مؤكداً أنها من الله سبحانه.
- 4- تتنوع تفسير المؤرخين في تفسير تلك الحوادث بحسب الحادثة نفسها، فمرة عدّوا حدوثها انتقاماً من الله سبحانه على ترك الناس للطريق القويم والمنهج الإسلامي الصحيح، ومرة عدّوها رحمة منه سبحانه لعباده، كنزول المطر وغيره، وثالثة عدّوها نصرةً من الله عز وجل للمسلمين ضد أعدائهم.
- 5- اختلف تعليق المؤرخين على تلك الأحداث الطبيعية بحسب حجم الحادثة وسببها، فمرة يكتفون بالاسترجاع، ومرة ثانية يعلقون تعليقاً بآيات كريمة تتناسب مع تلك الأحداث، وثالثة يقرّون لله بالمشيئة في حدوثها.
- 6- أسهب أغلب المؤرخين في الحديث عن تلك الأحداث في حالة أن الحادثة كان سببها - بحسب رأيهم - انتقاماً لأن الناس قد تركوا المنهج الإسلامي الصحيح وانتشرت الرذائل في المجتمع، فكان نهجهم يتوافق مع الفكر الإسلامي الداعي إلى نبذ تلك المساوئ والرجوع إلى طريق الهداية.
- 7- نرى أن المنهج الذي اتبعه المؤرخون الذين شملهم البحث نابع من إيمانهم بأن تلك الكوارث الطبيعية ما هي إلا سلاح بيد الله عز وجل ينتقم به من كل المنحرفين عن الطريق القويم، وهذا النهج يأتي من خلال الفكر الديني الذي انغرس في نفوسهم وتشربت عليه نفوسهم بأن كل شيء حصل للإنسان في هذه الدنيا هو قدر مكتوب.

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

1. أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقرئ (1997). السلوك لمعرفة دول الملوك، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان .
2. أبو بكر عبد الله بن أحمد بن عبيد بن سفيان ابن أبي الدنيا البغدادي الأموي. (1996). العقوبات، تحقيق: محمد خير رمضان، ط1، دار ابن حزم، بيروت - لبنان.

3. أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة. (2015)، المصنف، ط1، دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض-السعودية.
4. البياض، عبد الهادي. (2011). الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوكيات وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس، دار الطليعة، بيروت.
5. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري. (1967). تاريخ الرسل والملوك، ط2، دار المعارف، القاهرة - مصر.
6. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي . (1992). المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان .
7. جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبدالله الظاهري. (د.ت). وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة - مصر.
8. أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري. (1997). الكامل في التاريخ، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
9. 1 سليمان بن الأشعث بن إسحاق أبو داود (د.ت). سنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، د.ت.
10. شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان . (2003). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان.
11. شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزوغلي سبط ابن الجوزي. (2013). مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ط1، دار الرسالة العالمية، دمشق - سوريا.
12. ابو عبدالله أحمد بن حنبل. (2001). مسند أحمد، تحقيق: شعيب الارناؤوط وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
13. عبد العال، طه حسين. (2013). الكوارث الطبيعية في بلاد العراق وفارس في العصرين البويهى والسلجوقي، دار الآفاق العربية، بيروت.
14. فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرزاي. (1420هـ). مفاتيح الغيب - التفسير الكبير، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
15. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي. (1988). البداية والنهاية، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
16. أبو الفداء عماد الدين إسماعيل الملك المؤيد. (د.ت). المختصر في أخبار البشر، ط1، المطبعة الحسينية، مصر.
17. أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني. (1995). المعجم الأوسط، تحقيق: طارق عوض الله وعبد المحسن ابراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة - مصر.
18. ابن قتيبة الدينوري. (د.ت). الأنوار في مواسم العرب. دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان .
19. كاظم، فوزي خيرى. (2024). التفسير الديني الأوبئة عند بعض المؤرخين المسلمين - الطاعون انموذجاً، مجلة كلية الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإنسانية، مجلد (8)/عدد (2)/15-25. DOI: 56bz1/pgn10.61710https://doi.org/

20. مالك بن أنس الأصبحي. (1991). موطأ مالك، تحقيق: بشير عواد معروف، محمود محمد خليل، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
21. محمد بن اسماعيل البخاري. (1987). الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى بن ديب البغا، ط3، دار ابن كثير - دار اليمامة، بيروت - دمشق.
22. محمد بن جرير الطبري. (1967). تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، مصر.
23. محمد بن جرير الطبري. (2001). جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان، اليمامة، السعودية.
24. أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي. (1997). معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد عبدالله النمر وآخرون، ط4، دار طيبة للنشر والتوزيع، د.م.
25. نعيم بن حماد. (1991). الفتن، مكتبة التوحيد، القاهرة. د.م.